المحاضرة السابعة:المنهج التفكيكي

ظهرتالتفكيكيةفي1960كردفعلعلىالبنيويةوهيمنةاللغةوتمركزالعقل،وهيمنةاللسانياتعلىكلحقولالمعر فة،وأصبحتالتفكيكيةابتداءمن1970منهجيةنقديةأدبية،وآليةلتقييمالبلاغةوالتأويل.

ويتجهالتفكيكبشكلأساسيإلىنقدالطرحالبنيويالذيكانيعملعلىكشفالبُنياتالأساسيةوالمسؤولة عنالملامحالأكثرملاحظةفيالتفاعلالاجتماعيوالثقافي،إذتنفيالتفكيكيةبثباتالمعنىفيمنظومةالنص، وتقومبتحليلالهوامشوالفجواتوالتوقعاتوالتناقضاتوالاستطراداتداخلالنصوص،بوصفهاصياغاتتسه مفيكشفعنماورائياتاللغةوالتركيب.

أولا: مفهوم المنهج التفكيكي

التفكيكية منهج نقدي أسسه الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا(1930-2004) ويهدف من خلاله دراسة النصوص التي غلبت عليها صفة المطلق و المثالية، اعتمادا على هذا المنهج التفكيكي الذي لا يعطي اعتبارا للمقدس، فيولد من خلاله أشياء كثيرة سكت عنها النقاد القدماء، وقد طرح آراءه في ثلاثة كتب نشرت في سنة 1967 وهي (حول علم القواعد) و (الكتابة والاختلاف) و(الكلام والظواهر).

واستند جاك دريدا في هذا المنهج إلى قطيعة سبق أن أعلنها الفيلسوف نيتشه تجاه الميتافيزيقيا ، وتتجلى التفكيكية في أنها تقوض مفهوم الحقيقة بمعناه الميتافيزيقي، كما تقوض الواقع بمعناه الوضعي التجريبي، وتحول سؤال الفكر إلى مجالات اللغة والتأويل.

ويعتبر منهج التفكيكdeconstructionأهم حركة ما بعد البنيوية في النقد الأدبي إضافة إلى أنها الحركة الأكثر إثارة للجدل في الوقت المعاصر، ويستخدم التفكيك:(للدلالة على نمط من قراءة النصوص، بنسف ادعاها المتضمن أنها تمتلك أساسا كافيا في النظام اللغوي الذي نستعمله ، كي تُثبت بنيتها ووحدتها ومعانيها المحددة).

و أي مناقشة للتفكيك لابد أن تبدأ بالقارئ ، وتجربة القارئ التي لا يوجد قبل حدوثها شيء، فهو يفكك النص، ويعيد بناءه على وفق آليات تفكيره . وهو بذلك يعتمد على آليات الهدم والبناء من خلال القراءة ،و لعل من البديهي لدى القارئ أن مصطلح التفكيك يعتمد

على الهرمنيوطيقا الذي يمارس من خلاله تفكيك النص، فالقارئ يحدث عنده المعنى ويُحدثه ، ومن دون هذا الدور لا يوجد نص أو لغة أو علامة أو مؤلف.

و يبحث جاك دريدا عن المنطوق أو أفضلية الكلام على الحضور، رغبة منه في قلب المعنى وإسقاطه من اللغة .. فهو يرى " إن اللفظ الاستعماري للترجمة أو النسخ خطير ، لكونه خطير يفترض نصاً موجوداً في الآن ، نصاً جامداً ، حضوراً لا انفعالياً لتمثال ، لحجرة مكتوبة أو لوثيقة ..." إن عمل دريدا " عمل مفكك De-constructeur لكونه قد أعاد النظر في المفاهيم التي تأسس عليها الخطاب الغربي الذي لا يعدو أن يكون خطاباً ميتافيزيقياً ، وليس هناك بديل يقدمه دريدا ، بل إن مشروع عمله لا يمكن أن ينحصر في دائرة محددة أنها مغامرة لا يمكن التنبؤ بنتائجها ولكن يمكن معرفة سمعتها ونقصد هدم الميتافيزيقيا .. " ،ولهذا يقود التّفكيك، إذن، هجوماً ضارباً وحرباً عشواء على الميتافيزيقيا في قراءة النّصوص: فلسفيّةً كانت أو غير فلسفيّة. ويُقصد بالميتافيزيقيا التي يستهدفها التّفكيك في هجومه: "كلّ فكرةٍ ثابتةٍ وساكنةٍ مجتثّةٍ من أصولها الموضوعيّة، وشروطها التّاريخيّة"

ويتّصف التّفكيك بطابعٍ سياسيٍّ فضلاً عن كونه إستراتيجية فلسفيّةً لأنّه يتقدّم باتّجاه النّصوص، لا لكي يهدم ويُقوّض المنطق الذي يحكم النّصّ فقط، وإنّما، أيضاً، لكي يفضح الميتافيزيقيا.

و يهدف التّفكيك إلى كسر الثّنائيّات الميتافيزيقيّة: داخل/خارج، دالّ/مدلول، واقع/مثال.... لإقرار حقيقة (المتردّد اللاّيقينيّ) في عبارة (لا هذا.. ولا ذاك). وانطلاقا من خلفيته الدينية والتي انطلقت منها التفكيكة وهي ما دفعته إلى القول بوجود خلخلة في المثالية الدينية المتمثلة في سيطرة اللوغوس / الكلمة في الكتاب المقدس.

إن التفكيكية منهج في الدراسة النقدية تعتمد في منطلق على رفض كل ما غيبي لاهوتي يقول د. غسان السيد : ((لقد جاءت اللّحظة الحداثويّة الأوربيّة التي نقلت الإنسان من واقعٍ إلى واقعٍ آخر مختلفٍ، تخلخلت فيه كلّ الثّوابت السّائدة التي جمّدت العقل البشريّ

لقرونٍ طويلةٍ. فتشكّل وعيٌ جديدٌ معارضٌ بصورٍ كلّيّةٍ للوعي اللاّهوتيّ الذي أراد توحيد العالم حول مركزٍ عقائديٍّ موحّدٍ يتجسّد فيه المعنى الوحيد للحقيقة التي لا تقبل النّقاش.

ثانيا: أسس التفكيكية ومرتكزاتها

يحاول جاك دريداأن يقدم أسسا ومرتكزات لفكرة التفكيك وهي تتمثل في:

1 ـ **الاختلاف:** يرى دريدا أن الاختلاف يتطلب إلى وجود تفسيرات متعددة وهي توحي بوجود حقائق متعددة فضلا عن وجود حقيقة واحدة وتفسير واحد، انطلاقاً من وصف المعنى بالاستفاضة، وعدم الخضوع لحالةٍ مستقرةٍ، ويبين الاختلاف منزلة النصية (Textaulity) في إمكانية تزويدها القارئ بسيل من الاحتمالات، وهذا الأمر يدفع القارئ إلى العيش داخل النص.

2 ـ **عدمية التمركز**:إن تقويض التمركز عند دريدا يقود إلى تحطيم كلّ المراكز، وتفكيك أنظمتها بدءاً من مركز كلّ شيء وهو (الإله) وهو سبب مركزي لكل الأحداث، مروراً بمركز الحقيقة، وانتهاءً بمركز العقلانية، وقصدية دريدا هذه تتجه إلى مبدأ يقتضي عدّ العلامات في حالة حركة مستمرة لانهائية، ومتحررة عن مراكزها، وهذا يؤدي إلى تفعيل نشاط الأزواج المتغايرة، أو الثنائيات المتناقضة.

3 ـ **تقويض الميتافيزيقيا:** أعلن دريدا نهاية الميتافيزيقا على غرار مارتن هايدجر، وينتقد دريدا المنطق واللغة والحضور والتمركز العقلاني الذي يشكل معيار الحقيقة والبداهة واليقين.

4 ـ **نقد الهوية والخصوصية والجذور الأصلية:** يرفض دريدا التمركز العقلي ويمقت كل انطواء للعرق أو الجذور أو التبجح بالخصوصية والمركزية أو الإيمان بهيمنة عنصر على آخر.

5 ـ **تفكيك مفهوم التاريخ:** يرفض دريدا التاريخ الكلاسيكي القائم على الصوت الواحد المهيمن، ويدعو الى تاريخانية جديدة متعددة الأصوات، تهتم بالشعوب التي تعيش على الهامش.

6 ــ **تفكيك النصوص والخطابات:** يعتمد دريدا آلية التفكيك في تقويض النصوص وتشريح الخطابات، سواء كانت أدبية أو فلسفية، وما يهم دريدا في القراءات التي يحاول إقامتها ليس النقد من الخارج، وإنما الاستقرار أو التموضع في البنية غير المتجانسة للنص.

7 ــ **تعدد اللغات والمعاني والنصوص:**يرى دريداأن التفكيك لا يؤمن بلغة واحدة ويؤمن بلغات متعددة عبر آليات الاختلاف والتناقض والحوار.